المبحث الخامس

مقومات العفة

المبحث الخامس

مقومات العفة

وبعد أن أنهيت الكلام عن مظاهر عفة المرأتين وموسى عليه السلام، أتكلم عن مقومات العفة مكتفيًا بذلك عن الكلام عن مفسدات العفة لعلاقة التضاد بين المقومات والمفسدات في كثير من الحالات؛ فإلى المقومات، وهي:

المقوم الأول: التربية الإيمانية.

وهي عقد صلة بين العبد وربه، والسير على اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، ويكون ذلك بالتربية على ما يأتي:

١ـ أعمال القلوب:

ومنها الإخلاص لله والمحبة له ومراقبته في السر والعلانية والخوف منه سبحانه وتعالى ورجاه وتقواه، فإن من اعتنى بإصلاح قلبه صلُحت حاله، وزاد إيمانه، وقوي تعلقه بربه، وأنار دربه في سيره لمولاه، وعرف محبوبات الله، فسعى في تحصيلها، وأدرك منهيات الله ومغضباته، فاجتهد في الابتعاد عنها، وعلى هذا الأمر يدور الإيمان.

ولهذا قال الله عن سبب نجاة يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

ومعلوم أنه في قوله: ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قراءتان بفتح اللام وكسرها، وكلٌّ من القراءتين أفادت معنى غير المعنى الآخر، ولهذا قال الطبري رحمه الله: «اختلفت القرأة في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرأة المدينة والكوفة: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام من «المخلصين»، بتأويل: إن يوسف من عبادنا الذين أخلصناهم لأنفسنا، واخترناهم لنبوّتنا ورسالتنا.

وقرأ بعض قرأة البصرة: «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ» بكسر اللام، بمعنى: إن يوسف من عبادنا الذين أخلَصوا توحيدنا وعبادتنا، فلم يشركوا بنا شيئًا، ولم يعبدُوا شيئًا غيرنا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بهما جماعة كثيرة من القَرَأَة، وهما متفقتا المعنى.

وذلك أن من أخلصه الله لنفسه فاختاره، فهو مُخْلِصٌ لله التوحيدَ والعبادة، ومن أخلص توحيدَ الله وعبادته، فلم يشرك بالله شيئًا، فهو ممن أخلصه الله»[1].

فظهر إذن فائدة الإخلاص – وهو عمل قلبي – في العفة والاستعفاف.

٢- أعمال الجوارح:

من الطاعات عمومًا، فإن لها أثرًا في انصراف القلب وحماية النفس عن الفحش، وقد قال الله في شأن الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) تفسير الطبري (١٦/٤٩).

وذلك لأن الصلاة تجمع عدة عبادات قلبية وبدنية، ففيها إخلاص لله وخضوع واستكانة ومحبة وخوف ورجاء، فإن المصلي محب لربه مطيع له، خائف من عذابه، راجٍ رحمته وقبوله عند الله، ففي الصلاة يأخذ القلب حظه من العبودية لله، ولهذا إن أُديت على الوجه الكامل أشبعت القلب وأغنته في الانصراف عن الفحشاء والمنكر.

ومن الطاعات الجليلة التي تعتبر أصولاً يجتمع فيها كثير من العبادات ما يأتي:

أ ـ الصلاة: كما سبق بيانه.

ب ـ الذكر: وفضائله كثيرة[1].

ج ـ الجهاد في سبيل الله: بأنواعه، ويدخل فيه:

جهاد الكافرين، وجهاد المنافقين، وجهاد الفاسقين، وجهاد النفس والهوى.

وهذا يؤكد أن أثر الطاعات عمومًا يتعدى إلى صيانة النفس وحمايتها عما يشينها.

المقوم الثاني: تعظيم حرمات الله.

وقد بيّن النبي ﷺ حرمات الله بمثال واقعي عملي، فقال: «ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه»[2].

---

(١) عدّدها ابن القيم في كتابه: الوابل الصيب.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

والاقتراب من الحمى يجعل الإنسان يتمادى حتى يقع في الحمى، فيستحق العقوبة، وكذلك من اقترب من حمى الله، وتهاون في اليسير منها أوشك أن يقع فيما هو أشد منها متبعًا خطوات الشيطان التي حذرنا الله منها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النور: ٢١].

وقد نهى الله تعالى عن الاقتراب من الزنا، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وفائدة النهي عن الاقتراب من الزنا تظهر في النهي عن كل ما يوصل إلى هذه الفاحشة المقيتة، ويشمل ذلك جميع ما يستحدثه أهل الأهواء لتتبع أهوائهم.

ويكون تعظيم الحرمات بما يأتي:

١. تقدير الله حق قدره ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى ومعانيها والتعبد لله بها.

٢. الابتعاد عن كل ما يوصل إلى الحرمات، وهو من ترك الأسباب، وإذا كان ترك المحرم واجبًا، فإن ترك السبب الموصول إليه يكون واجبًا، وكما أن انتهاك المحرم يكون محرمًا، فإن فعل الوسيلة الموصلة إليه تكون محرمة أيضًا، ومن القواعد المقررة في هذا الباب: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

٣. احترام النص الشرعي وجعل السلطة له: لأن من احترم النص احترم مدلوله وأمره ونهيه، ووقف عند حدوده، ولم يسمح لنفسه بتعدي حرمات

النصـ، ولهذا كان مـن قواعد أهل السنة تقديم النقـل على العقل عند التعارض، ولا يتعارض النقل الصحيح مع العقل السليم.

ومـن خالـف في احـترام النصـ تطاول علـى النصـ بالتحريـف والتبديل والتخصيصـ، فإن لم يجد إلى ذلك سبيلًا انتقل إلى التشكيك في ثبوته أو معناه، وعاد هذا التشكيك على أصل النص بالإبطال.

٤ـ الحذر من مكر الله:

فإن الله حذَّر الأمن من مكره، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقال في صفة المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧].

فيخشى المؤمن عقوبة الله وعذابه وسوء الخاتمة والضلال بعد الهداية والسقوط من نظر الله، ومقت الله له بارتكابه النهي أو فواته الواجب عليه شرعًا.

المقوم الثالث: قراءة القرآن بتدبر.

وهو لب الأعمال الصالحة، وكثيرًا ما يفرده أهل العلم لحاجة القلب إليه ولأثـره في بقية الأعمـال، فقد أنزل الله كتابـه للتدبر: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

فذكـر سبحانـه في الآية الكريمة التدبر، ثم أعقبـه بالتذكر؛ لأنه ثمرته المرجوة منه، وأتى بصفة الألباب وهم أهل العقول السليمة الناضجة.

ومن وسائل التدبر:

١. **الإكثار من قراءة القرآن.**

فإن من أكثر من قراءة القرآن والنظر فيه وإعادته أصبح أكثر تفكرًا وتدبرًا له.

٢. **فهم معنى الآية الكريمة.**

فلا يمكن للتدبر أن يؤدي ثمرته حتى يفهم المعنى، ومن المعاني ما هو ظاهر، ومنها ما يحتاج إلى مطالعة كتب غريب القرآن، ولا غنية أبدًا لقارئ القرآن عن كتب التفسير.

٣. **التأني والتمهل.**

بحيث يتمهل في قراءة الآية ولا يستعجل، وقد نهى الله نبيه ﷺ عن الاستعجال بالقراءة، فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦].

ومن التأني: إعادة الآية، والتغني بها، والوقوف عند كل آية، فإن كانت آية تسبيح سبح، وإن كانت آية دعاء دعا، وهكذا.

٤. **إعمال الفكر في الآية.**

وذلك بعد النظر في الكتب المُعِينة على فهم المعنى، فيعمل الإنسان فكره في معنى الآية، ويعرض حاله على الآية الكريمة، ويجيل الفكر لعل الله يوفقه في إدراك فائدة ولطيفة وحكمة.

المقوم الرابع: التربية الأخلاقية.

فمن تربى على الأخلاق الحميدة كان أبعد عن الفحشاء؛ لما للأخلاق من أثر في تقويم السلوك، وصفاء النفس، ولهذا كانت الأخلاق من شعب الإيمان، كما في قوله ﷺ: «**الحياء شعبة من الإيمان**»[1]، ومن الأخلاق التي تؤثر في تحصيل العفة ما يأتي:

١. الصبر:

وهو رأس الأخلاق وأسها القويم، وإليه المرجع في كثير من الأعمال، فمن تحلى بالصبر كان أكثر قدرة على ضبط نفسه عن الوقوع في الفواحش والرذائل.

٢. الحياء:

فهو يمنع صاحبه عن القبائح، ويردعه عن الفواحش، وفيه الخير العميم، ولهذا خصه النبي ﷺ بقوله: «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[2].

٣. علو الهمة:

وله تأثير عجيب في تحصيل العفة، فإن عالي الهمة لا يرضى بالدون والدناءة وسفاسف الأمور وسقط المتاع ومحقرات الأمور، وقد يصل الأمر بعلو الهمة حتى في طلب أمور الآخرة، فلا يرضى بالأعمال القليلة، وإنما يسعى في تكميل نفسه وتقويمها على درجات الإيمان،

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (٥٠).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣).

ويطلب الرقي لدرجة الإحسان، ولهذا فإن صاحب علو الهمة يرى أن الذنوب دناءة – وهي كذلك – ومنها ذنوب الشهوات التي تردي صاحبها، ومن وسائل تحقيق علو الهمة في هذا الشأن:

أ. التربية الجادة القوية.

ب. الاقتداء بالنجوم الزواهر من المُثل العليا، كالصحابة والعلماء والمجاهدين والمفكرين والمبدعين والمجددين، وتاريخ الأمة الماضي والمعاصر مليء بالأمثلة، وهذا من بركة هذه الأمة الولود.

ج. اكتشاف الطاقات وتنميتها وتفعليها.

٤. المجاهدة:

وهي مقاومة النفس ومدافعتها، فإن النفس تأمر بالهوى والشهوات، وهذا من ابتلاء الله للإنسان ليعلم – وهو أعلم سبحانه – الأتقى، ومن يتزكى.

فاحتاج المؤمن إلى مجاهدة نفسه ومغالبتها وصدها عن الفواحش، وإلزامها طريق العفة، ومن سنن الله التي لا تبديل لها أن النصر مع المجاهدة.

ولئن كان الإنسان يجتهد في مجاهدة الأعداء ومدافعهتم، فإن النفس بشهواتها وجموحها تحتاج إلى مجاهدة أشد؛ لأنها بين جنبي الإنسان، وكثيرًا ما يوسوس الشيطان للإنسان من خلالها.

المقوم الخامس: الرقي بالنفس.

وهو من ألطف التعامل مع النفس المؤمنة بأن يسعى المؤمن في الرقي بنفسه وسلوكه وفكره وثقافته وألفاظه، وهو ما يعرف بالتحلي بالحكمة، وهي خلقٌ عام يشمل الحكمة في الأقوال والأفعال.

ومن تأمل ألفاظ الشريعة وجدها تربي المتبع لها على الرقي، فمثلًا:

في العلاقة الخاصة بين الرجل وزوجته سمتها الشريعة: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وكان النبي ﷺ حكيمًا في ألفاظه راقيًا في ذوقه وأدبه صلوات الله وسلامه عليه، فليس بالفاحش ولا المتفحش، فهو أبعد الناس عن البذاءة واللعن والفحش وسوء الخلق، وهذا هو الرقي الكامل.

المقوم السادس: الاستعفاف.

وأقصد به قصر النفس على الاستعفاف، فمن يستعف يعفّه الله، أي من يحمل نفسه على التعفف، ويحاول أن يكون ذلك خلقًا له، فإن الله – بإذنه تعالى – يوفقه للعفة.

وهذا منهج مطرد، فمن يتصبر يصبره الله، ومن يتعلم يعلمه الله، وكذلك الحال في العفة، فمن قصر نفسه على غض البصر والبعد عن

الفواحش وصرف الذهن عن تتبع الشهوات وأماكنها، ويحمل نفسه على ذلك، ويرفع من شأنها، فإن الله يعينه ويعفه، ويكون الاستعفاف بما يأتي:

١. حمل النفس على معالم العفة ومظاهرها.

٢. تقوية الإرادة والعزيمة والعقد والحزم بشأن مقومات العفاف.

٣. كتم ما يجده الإنسان مما يُنقِصُ عليه معاني العفة.

٤. إشغال النفس بما ينفعها وملء الوقت الفارغ.

٥. لوم النفس وتأنيبها في حال الذنب.

٦. تفعيل دور الجهات الحكومية والاجتماعية في تحقيق العفة، والأخذ على أيدي أهل الفساد ومحاربة الفساد ووسائله، والتقليل من الشر.

المقوم السابع: الزواج.

وهو الحل العملي لكثير من حبائل الشهوات، وإن كان يعتريه الأحكام التكليفية الخمسة، إلا أن الأصل فيه الوجوب على من قدر عليه، شأنه شأن بقية الواجبات الشرعية.

وقد أمر به النبي ﷺ بقوله: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم إنه له وجاء»[1].

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا الصدد ما يأتي:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٢٤٨٥).

١- علـى أهـل الحل والعقد السعي في تسهيل أمـور الزواج من تخفيضٍ للمهور وتقليل التكاليـف والتغاضي عن كثير من الشروط التعسفية في الموافقة.

٢- التشجيع على الزواج المبكر، وقد يستنبط من تخصيص فئة الشباب بالحديث السابق أن الأصل أن يبادر الإنسان بالزواج.

٣- رفع شعار: ﴿إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ [القصص:٢٧].

بحيث لا يتـم إيقاف زوج إحدى البنات لأجل أُختها الأخرى التي لم يأذن الله بتيسير زواجها.

٤- سعـي ولي المرأة في البحث عن الزوج الكفء؛ لأن يد الولي يد أمانة ورعاية، فيلزمه بذل الجهد قدر المستطاع.

٥- التشجيـع علـى مـا يعرف بالـزواج الجماعي؛ لأنه يسهـم في تقليل تكاليف الزواج.

٦- التصـدي لـكل عائـق أمام الـزواج: مـن إكمال الدراسـة والعوائق النفسيـة وتكويـن رصيـدٍ عـالٍ في الميزانية المالية، وغـير ذلك من الأمور التي تسهم في عرقلة سير الزواج.

٧- تكثيـف الـدورات التي تُعنى بالثقافة الزوجية وبنـاء الأسرة وتربية الأولاد، وإنشاء مراكز تختص بقضايا الأسرة.

المقوم الثامن: الابتعاد عن خوادش العفة.

هـذا، وإن كان في جانب الـتروك إلا أني أعتقد أن له أهمية كبرى على واقع العفيف، حيث يلزمه أن يبتعد عن كل مثير للشهوة، أو محرك للغريزة، أو خاطـرة سيئـة؛ لأن الخواطر تتطور إلى إفك ثم إلـى إرادات وعزيمة ثم إلى أفعال محققة.

ومرجـع ذلك يختلف بحسب اختلاف المثيرات، وهي في زماننا متنوعة متجـددة وعلى رأسهـا الإعلام الفاسد، ثم مظاهر التـبرج وأماكن السفور والأماكن المختلطة، كالأسواق وغيرها.

ومعلـوم أن قطع بدايـات الأمور أهـون بكثير من السعـي في إخمادها بعـد اشتعالها، فكلما منَّـى نفسه هواها، وسعى في تلبيتـه، ثم وقع في بوادر الفسـاد، تعلقت نفسه بالحرام، وتعطشـت له، حتى تصبح النفس لا ترضى إلا بالحـرام، ولـو مع وجـود الحلال في أحيان كثيرة، وهـذا من خذلان الله للعبد، نعوذ بالله من خذلانه، ومما يعين على الابتعاد ما يأتي:

١- مجانبة الإعلام الفاسد، سواء المرئي والمقروء والمسموع ورفع النفس عن متابعته.

٢- الابتعاد عن الكلام البذيء الفاحش الذي يحرك كوامن النفس.

٣- تـرك سماع الأشعار التي يكثر فيها وصـف النساء، خاصة الوصف الفاحش.

٤- قطع الخواطر الذهنية التي تصور العُري والفساد في الذهن.

٥- اختيار الأماكن غير المختلطة، إلا في الحالات التي لا يمكن ذلك.

٦- اجتناب الصحبة التي تزين المنكر والفساد، وتسهل طرق الحصول عليه.

المقوم التاسع: إحياء واعظ الله في القلب.

جاء في مسند الإمام أحمد من طريق النواس بن سمعان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « **ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ** »[1].

فقوله: «واعظ الله في قلب كل مسلم» يدل على أن هذا الواعظ موجود عند كل قلب مسلم، ويحتاج المسلم في كثير من الأحيان إلى إحيائه لياديه، ويؤثر فيه، ويكون مانعًا له ومساعدًا في ترك الحرام، فإن تأنيب الضمير وإحياء الوازع الديني لدى الفرد من أقوى وسائل العفة.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٦٣٤) والطبري في التفسير (١٨٧) والطحاوي في مشكل الآثار (٢١٤٢)، والحاكم ١/٧٣ وقال: صحيح على شرط مسلم.

ويكون إحياء الواعظ في القلب من خلال ما يأتي:

١. تقوية الوازع الديني.
٢. مراقبة الله في السر وأماكن الخلوات.
٣. تفعيل دور النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل الشر وترك فعل الخير.

المقوم العاشر: ستر المرأة المسلمة.

فإن الرجال والنساء في المجتمع المسلم مسؤولون جميعًا عن العفاف ونشر العفة وتحقيقها، ويكون ذلك من خلال ما يأتي:

١. قرار المرأة في البيت:

وهذا من حيث الأصل لقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولا يمتنع بعد ذلك من خروجها لحاجتها، ومن تأمل واقع الحياة المعاصرة وجد أن كثيرًا من خروج النساء ليس في منزلة الحاجة ولا قريبًا منها، ومن ثم نحن في حاجة إلى التنبيه على الأصل، وهو القرار أكثر من حاجتنا لتبرير الخروج.

٢. عدم مخالطة الرجال:

فقد أمر النبي ﷺ ألا يختلطن بالرجال في الطرق، وخصص لهن بابًا في المسجد، وعزل صفوفهن عن صفوف الرجال.

ومن تأمل الشريعة وأحكامها وجدها تتشدد في حماية المرأة، ومن ذلك:

عـزل صفوفهن في الصلاة، وخفض أصواتهـن في التلبية بالإجماع، ومنعهن من الرَّمَل[1] في الطواف، وستر جنازتهن حين الدفن، وغير ذلك من الأحكام الفقهية الخاصة بهن.

٣. عدم الخضوع بالقول، وله صور منها:

أ ـ لين الكلام والتكسر في العبارة.

ب ـ إطالة الكلام والتوسع فيه من غير حاجة.

٤. اللباس الساتر:

وقـد فصَّل أهـل العلـم كثـيرًا في لباس المـرأة المسلمـة، وكثير من التفصيلات مداخلة، ويظهر – والله أعلم – أنها ترجع إلى شرطين:

- **الشرط الأول:** أن يستوعب اللباس جميع البدن.

فيخرج من ذلك كل لباس لم يستر البدن بأن خرج شيءٌ منه.

- **الشرط الثاني:** ألا يكون اللباس ضيقًا يصف جسمها.

ومـا عدا ذلـك من الشروط فهو إمـا متفرع عنهمـا أو لا يخص لباس المرأة، كالتشبه الـذي هو محرم على الرجال والنساء، ولباس الشهرة الذي تخالف به مجتمعها[2].

---

(١) هو: أن يمشي سريعًا يهزّ في مشيته الكتفين، انظر: القاموس الفقهي، سعدي أبوحبيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر تفصيلها في: زينة المرأة المسلمة للشيخ عبدالله الفوزان: ص١٨ وما بعدها.

المقوم الحادي عشر : التربية الفكرية[1].

وقد خصصتها بالذكر؛ لأن العالم الإسلامي يواجه اليوم هجومًا فكريًّا على كثيرٍ من قضاياه وأحكامه، ولعل قضايا المرأة أخذت أوفر الحظ والنصيب – في اعتقادي – من ذلك الهجوم.

فقد تعرضت قضايا المرأة إلى ما يأتي:

١. المطالبة بالمساواة مع الرجل.

٢. إباحة الاختلاط بصوره المحرمة.

٣. تهميش دور ولي المرأة في النكاح أو غيره.

٤. إيجاد علاقة تصادمية بين الرجل والمرأة في جميع المحالات.

٥. تهوين شأن كثير من القضايا الشرعية النسائية كالحجاب والميراث والزواج المبكر وتحديد النسل وحق القوامة وغير ذلك.

٦. تصوير المرأة المسلمة بصورة المظلوم الذي ينتظر التحرير، ولهذا سميت كثير من الحركات النسوية التغريبية تحريرًا.

ولهذا كان من العفة أن يصان الجانب الفكري لدى المرأة من خلال ما يأتي:

١. كشف سوءات وعوار المؤتمرات والحركات النسائية الفاسدة للمرأة المسلمة.

---

(١) انظر: العدوان على المرأة، د. فؤاد العبدالكريم، من منشورات المنتدى الإسلامي.

٢. إبراز دور التيار العلماني في تبني قضايا المرأة، وكشف حقيقة مرادها.

٣. إنشاء دور التحفيظ النسائية وإبراز أعمالها.

٤. تفعيل دور المرأة المسلمة في المجتمع المسلم.

٥. حل مشكلات المرأة المسلمة في الواقع المعاصر.

٦. التكامل بين دور المرأة المسلمة والرجل المسلم في الحياة والقيام بالعبودية لله سبحانه.

٧. نشر الوعي الديني بشأن قضايا المرأة في الكتاب والسنة.

٨. معالجة الوقت بالنسبة إلى المرأة المسلمة، حيث يشكل الفراغ عاملًا صعبًا في حياة النساء اليوم.

٩. إيجاد فرص عمل تليق بالمرأة المسلمة من خلال بيتها.

١٠. سد الحاجة المادية لدى ذوات الظروف المادية.

١١. نشر وفضح التجارب الغربية الفاشلة في قضايا المرأة، وإظهار زيفها[١].

(١) انظر: ورقة إبراهيم السكران: أقيسة الاختلاطيين.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فقد وقفت مع قصة المرأتين مع موسى عليه السلام، وهي جزء من تاريخ البشرية قديم جدًّا، ولم يكن موسى عليه السلام حينها نبيًّا مرسلًا، ولهذا تمثل هذه القصة جزءًا من الفطرة البشرية قبل أن تنحرف بأهواء الجهل والظلمات والشرك والشهوات، وكذلك تدلنا على تاريخ رسول بني إسرائيل والأمة الإسرائلية قبل أن تضل باتباع الذين كفروا من قبل، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

ولئن أصبحت الثقافة الغربية اليوم رائدة محاربة العفة، فإن الكتاب والسنة والفطرة السوية تنادي الناس إلى الصلاح والعفاف والطهارة والنزاهة، وما هذه القصة إلا مثال من ذلك، ونحن أبموسى منهم[1].

وقد عرضت مظاهر العفة في قصة المرأتين، ومنها:

---

(١) جزء مع حديث عاشوراء في البخاري (٣٩٤٢).

المظهر الأول من عفة المرأتين مع موسى عليه السلام:

قوله: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ﴾ بُعد مكان المرأتين عن الناس.

المظهر الثاني من عفة المرأتين مع موسى عليه السلام:

قوله: ﴿تَذُودَانِ﴾ بمعنى تطردان، وتحبسان غنمهما.

المظهر الثالث من عفة المرأتين مع موسى عليه السلام:

خوفهما الشديد من الاختلاط مع وجود بعض المبررات عند هاتين المرأتين من:

وجود الجمع من الناس، والحاجة، والاستغناء عن الناس وغير ذلك.

المظهر الرابع من عفة المرأتين:

إنه متقرر عندهما أن الأصل أن المرأة تقرّ في بيتها، وأن الخروج لأداء مثل هذه المهمة هو من شأن الرجال، ولأجل ذلك ذكرتا في كلامهما: ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾.

المظهر الخامس من عفة المرأتين:

إنهما لم يسألا أحدًا من الناس السقي لهما، ولم يبادرا أحدًا بالكلام حتى موسى عليه السلام.

المظهر السادس من عفة المرأتين:

إن الذي ظهر لي من كلامهما: أن اعتزالهما الرجال وعدم مخالطتهم ليس وليد تلك اللحظة، بل هذا عادة لهما مستمرة في ذلك اليوم وفي مستقبل الأيام، وظهر لي ذلك من صيغة المضارع في قولهما «لا نسقي» وصيغة المضارع تفيد الحال والاستمرار.

المظهر السابع من عفة المرأتين:

إنهما عبرتا عن عدم سقيهما بالنفي، فقالتا: «لا نسقي» ولم تعبرا بالإثبات، فلم تقولا: «سنسقي إذا صدر الرعاء» ولعل السبب - والله أعلم - أن النفي أبلغ في الجزم والقطع، وغير ذلك مما مضى تفصيله، وبيان وجه دلالته في الآية الكريمة.

وفي المقابل أيضًا لم يكن العفاف مقصورًا على المرأتين، وإنما موسى عليه السلام كان أكثر عفةً وأعلى مقامًا منهن، وقد ذكرتُ جملةً من عفة موسى عليه السلام، وأعلاها:

أنه لم يتكلم معهن بغير قوله: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ثم لم يتكلم معهن أبدًا حتى قابل أباهما، فلما جاءه قص عليه القصص؛ لأن الانبساط بالكلام والاستمرار في الحديث بين الرجال، أما بين الرجل والمرأة فيكون على قدر الحاجة.

وناسب أخيرًا أن يكون الكلام على مقومات العفة، التي تجتمع في:

- **المقوم الأول:** التربية الإيمانية.
- **المقوم الثاني:** التربية الأخلاقية.
- **المقوم الثالث:** التربية الفكرية، ويندرج تحت كل نوع مقومات عدة.

وقد تحصل لي بعض النتائج التي وصلت إليها، ومنها:

أولًا:

إن العفة مطلب يتوافق فيه الشرع المعصوم مع الفطرة السوية والعقل الحكيم.

ثانيًا:

إن جريمة العصر أن يُشَرَّعَ الاختلاط والعري والتبرج تحت أي مبرر، بأن يجعل ذلك موافقًا للفطرة، وأن تحريمه لم يكن إلا في العصور المتأخرة!

فقد أثبتت الآيات الكريمات أن تحريمه قديمٌ عميقٌ في التاريخ قدم الفطرة نفسها.

ثالثًا:

إن الشريعة الإسلامية، كما أنها جعلت مقومات للشخصية المسلمة تتميز بها عن الشخصية الكافرة الضالة، والشخصية المتبعة للسنة تمتاز عن تلك البدعية بمميزات، فإنها ميزت الشخصية الرجولية

بمميـزات تخصّهـا، ومَيَّزَت الشخصيـة الأنثوية بمـا يخصّها، وكلٌّ كمـالٌ في موضعه، نقصٌ في غير موضعـه، ولهذا لُعن من عبث بهذا النظـام الربـاني، فقد لعـن رسـول الله ﷺ المتشبهين مـن الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال[1].

رابعًا:

إن المرأة لم تُصَنْ وتحفظْ بمثل ما شرعه له ربها، وهو أعلم بها، وكلُّ نظريةٍ أوقانونٍ يخالف شرع الإله فهو باطلٌ أو يؤول إلى باطل.

وأسـأل الله أن يزكينا، ويطهر قلوبنا، ويصلـح نياتنا، وأسأله سبحانه أن يتقبـل مني هـذا الجهد، وأن يجعله في ميـزان حسناتي وميزان حسنات والـدي يرحمه الله، وأن يجعل له من أعمالي أعظم الحظ والنصيب، وليس ذلك على الله الكريم بعزيز، فإن الولد من كسب أبيه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(١) أخرجه البخاري (٥/٢٢٠٧) كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال برقم (٥٥٤٦) ، وأبوداود (٤/٦٠) برقم (٤٠٩٧)، وابن ماجه (١/٦١٤) برقم (١٩٠٤) والترمذي (٥/١٠٥) برقم (٢٧٨٤).

مختصر السيرة الذاتية للمؤلف

- الدكتور عقيل بن سالم الشمري.

- عضو هيئة التدريس بجامعة المجمعة، Ageel0001@gmail.com
- دكتوراه في التفسير، ورسالته في الماجستير بعنوان (الدعاة غير الأنبياء في القرآن الكريم)، وأطروحته في الدكتوراه بعنوان (التفسير بالقول المحتمل. منزلته وأثره في البيان).

له عدة رسائل منها:

١. لطائف قرآنية: جمع فيه استنباطاته حول الآيات، ومرتب على سور القرآن.

٢. صلاة الاستخارة مسائل فقهية وفوائد تربوية: استنبط من حديث جابر رضي الله عنه في باب الاستخارة أكثر من ثمانين فائدة تربوية.

٣. دروس تربوية من حياة السميط رحمه الله.

- وله تحت الطبع:

١. أفنان قرآنية. ٢. تدبر سورة الكهف. ٣. لطائف غريب القرآن.

- وله شروحات صوتية في علمي التفسير والحديث.